

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ
جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ
الْقَدِيرُ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيْضَ اللَّهِ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ.

إِنَّ إِحْتِرَامَ كِبَارِ السِّنِّ هُوَ بَرَكَهٌ فِي حَيَاتِنَا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي تَمَّ فِيهِ فَتْحُ مَكَّةَ. كَانَ قَدْ
انْتَهَى الْحَنِينُ وَالْإِشْتِيَاقُ إِلَى الْوَطَنِ حَيْثُمَا قَدَّ عَادَ
نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةُ الْكِرَامُ
إِلَى دِيَارِهِمُ الَّتِي أُخْرِجُوا مِنْهَا جَبْرًا قَبْلَ سَنَوَاتٍ. وَكَانَ
الْمُؤْمِنُونَ يُعَانِقُونَ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ فِي دُمُوعِ الْفَرَحِ
وَكَانُوا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى لُطْفِهِ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ. وَأَمَّا أَبُو
بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ رَفِيقُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلِيلُهُ الْوَفِيُّ بِمَجْرَدِ دُخُولِ الْمَكَّةَ قَدْ ذَهَبَ
مُبَاشَرَةً إِلَى أَبِيهِ. وَأَحْضَرَ وَالِدَهُ بَيْنَ يَدَيْ الرَّسُولِ لِكَيْ
يَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْعَبُ كَثِيرًا إِسْلَامَ أَبِيهِ.

وَحِينَمَا رَأَى الرَّسُلُ أَبَا الْقُحَافَةَ الَّذِي هَرِمَ وَشَابَ شَعْرُهُ
وَلِحْيَتُهُ وَعَمِيَ عَيْنُهُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ مُتَوَاضِعًا تَكْرِيمًا
وَإِحْتِرَامًا هَكَذَا: يَا أَبَا بَكْرٍ هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ
حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

الْحَيَاةُ هِيَ كَمِثْلِ فُصُولِ السَّنَةِ. وَلَهَا الرَّبِيعُ
وَالصَّيْفُ وَالْخَرِيفُ وَالشِّتَاءُ. وَكُلُّ فِتْرَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ لَهَا
مَيِّزَاتٌ وَجَمَالٌ مُخْتَلِفَةٌ. وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْفِتْرَاتِ
هِيَ فُرْصَةٌ لِلْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَلِجَعْلِ الْحَيَاةِ ذَا
مَعْنَى مَعَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ. الشَّيْخُوخَةُ هِيَ الْفِتْرَةُ
الْأَكْثَرُ قِيمَةً بِمَا فِيهَا يَنْضَجُ الْمُؤْمِنُ وَيُصْبِحُ إِنْسَانًا
كَامِلًا. الشَّيْخُوخَةُ هِيَ فِتْرَةُ الْحِكْمَةِ لِأَنَّ الرُّوحَ تَعَجُّ
فِيهَا بِالْخِبْرَةِ رَغَمَ مِنَ الْجَسَدِ الْمُتَعَبِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

كِبَارُ السِّنِّ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اسْتَجَابَ اللَّهُ
دَعْوَاهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ. إِنَّ أَثْمَنَ جُسُورِنَا هُمْ
الْمُسْتُونَ فِيْنَا لِأَنَّهُمْ يَرْتَبُونَ مَاضِينَا بِمُسْتَقْبَلِنَا
وَيَحْمِلُونَ قِيمَنَا الْوَطَنِيَّةَ وَالدِّينِيَّةَ وَثَقَافَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ
إِلَى الْجِيلِ الْجَدِيدِ. هُمْ آسَاسُ بُيُوتِنَا وَمَصْدَرُ بَرَكَهٍ
أُمُورِنَا. إِنَّهُمْ وَسِيلُهُ رَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٍ لِمُجْتَمَعِنَا بِشَعْرِهِمْ
الْمَشِيبِ وَبِظَهْرِهِمُ الْمُحَدَّبِ. وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ الَّذِينَ
يُذَرِكُونَ قِيمَةَ الصِّحَّةِ وَالسَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ. لِأَنَّ نَبِيَّنَا
الْحَبِيبَ قَدْ أَجَابَ إِلَى السَّائِلِ "مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟" قَائِلًا:
" مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ"²

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

يَوَدُّ الْبَشَرُ أَنْ يَكُونَ عَلَى إِتِّصَالٍ دَائِمٍ بِأُسْرَتِهِ
وَبَيْتِهِ وَأَنْ يُحَافِظَ عَلَى عِلَاقَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ. هَذِهِ الْحَاجَةُ
وَالرِّبَاطُ يَزِيدُ فِي فِتْرَةِ الشَّيْخُوخَةِ. إِنَّ عَمَلِيَّةَ اسْتِيعَادِ

المُسْنِينِ عَنْ نَشْوَةِ الْحَيَاةِ وَتَجْرِيدِهِمْ مِنَ الْمُجْتَمَعِ
تُقْعِمُهُمْ فِي الْيَأْسِ وَتَقْوُدُهُمْ إِلَى الْبُؤْسِ وَالشَّقَاوَةِ
وَالشُّعُورُ بِالْوَحْدَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُسْنَ الْمُحْتَرَمَ
وَالْمُسْتَشَارَ رَأْيُهُ هُوَ يَشْعُرُ نَفْسُهُ بِالسَّلَامِ وَالْأَمَانِ.
وَيَتَخَلَّصُ مِنَ الْقَلْقِ وَالْإِكْتِابِ بِسَبَبِ الْإِهْمَالِ
وَالْوَحْدَةِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْإِهْتِمَامَ وَالْمَحَبَّةَ وَالِدَعْمَ فِي
الْحَيَاةِ هُمَا الْوَالِدَانِ. وَيَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: "رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي
سَخَطِ الْوَالِدِ" ³ إِنَّ التَّعَاطُفَ وَالْمَرْحَمَةَ بِالْوَالِدَيْنِ مُهِمٌّ
جِدًّا خَاصَّةً فِي الْفِتْرَةِ الَّتِي يَحْتَاجَانِ فِيهَا إِلَى مُرْتَاحِ
الْبَالِ وَالذَّارِ السَّعِيدِ. إِذَا مُهِمَّتْنَا الَّتِي تَقَعُ عَلَيَّ عَاتِقِنَا
هِيَ أَنْ نَكُونَ بِجَانِبِهِمْ وَنُلَبِّي حَوَائِجَهُمْ فِي الْفِتْرَةِ الْأَكْثَرِ
حَسَاسِيَّةً فِي حَيَاتِهِمْ. رَبَّمَا يُمَكِّنُنَا الْقَوْرُ بِرِضَا اللَّهِ مِنْ
خِلَالِ دَعْوَاهُمْ الْمُخْلِصَةُ.

إِنَّ أَكْبَرَ الْغَدَارِ وَالْخِتَارِ هُوَ مَنْ أَهْمَلَ بِوَالِدَيْهِ
وَخَذَلَهُمَا خَاصَّةً فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ. بِنَاءً عَلَيْهِ يَقُولُ نَبِيُّنَا
الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ

الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: " رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ" ⁴

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

الرُّؤْيَةُ فِي كُلِّ الْعُجُوزِ بِمُغَامَرَةِ حَيَاتِنَا مِنْ مُقْتَصَى
الْكُونِ دَوَى الْعَقْلِ. سَيُصْبِحُ شُبَّانُ الْيَوْمِ شُيُوخَ الْعَدِ كَمَا
كَانَ الشُّيُوخُ شُبَّانَ الْأَمْسِ. وَيُخْبِرُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هَذِهِ

الْحَقِيقَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَائِلًا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ⁵

إِذَا، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْتَرِمَ كِبَارَ السِّنِّ فِيْنَا وَنَهْتَمَّ

بِهِمْ فِي كِبَرِهِمْ كَمَا إهْتَمُّوا بِنَا فِي طُفُولَتِنَا وَصِغَرِنَا.

يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفِي بِمَسْئُولِيَاتِنَا الْمُتَعَلِّقَةَ بِهِمْ

وَعَلَيْنَا أَنْ نُؤَدِّي وَاجِبَاتِنَا نَحْوَ كِبَارِنَا لِكَيْ نُسَهِّلَ

مَعِيشَتَهُمْ وَنَسْتَفِيدَ مِنْ خِبْرَاتِهِمْ الْخَاصَّةَ فِي حَيَاتِهِمْ.

دَعُونَا أَلَّا نَنْسَى إِنَّ إِحْتِرَامَ كِبَارِ السِّنِّ لَدَيْنَا سَيُضَيِّفُ

بَرَكَةً وَوَفْرَةً إِلَى حَيَاتِنَا. وَأَخْتَتُمْ حُطْبَتِي بِهَذَا الْحَدِيثِ

الشَّرِيفِ لِنَبِينَا الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا أَكْرَمَ

شَابٌ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ.

"⁶

¹ ابن الحنبل؛ 6، 350

² الترمذي، الزهد، 21.

³ الترمذي، البر، 3

⁴ المسلم، البر، 10

⁵ الروم، 54/30

⁶ الترمذي، البر، 75